المحاضرة الرابعة

النشاط الاقتصادي كنظام لتبادل الحاجات المادية وغير المادية.

تمهيد:تقوم عملية التبادل على أساس اشباع الحاجات المتبادلة و فق هدا المنحى كان للنقود الاثر البالغ في تاريخ التبادل كواحد من اهم النشاطات الاقتصادية .

من الناحية التاريخية كان التبادل يتم من خلال عملية المقايضة قبل ظهور النقود و كانت البضائع و السلع هي الادوات الرئيسية في عمليات التبادل .

مع ظهور النقود اضحى بالإمكان مبادلة السلع بمقابلها النقدي و تأجيل الحصول على المقابل السلعي الى ما بعد.

هدا ما أدى حسب المقاربة الماركسية الى تجاوز العلاقة سلعة ـنقودـسلعة (البيع من اجل الشراء) و ظهور العلاقة نقودـسلعة ـنقود(الشراء من أجل البيع) العلاقة الاخيرة ساهمت في تراكم رأس المال و ظهور قوى الانتاج الرأسمالي .

و التبادل لا يتوقف على الحاجات او المنافع المادية و يتجاوز الاشباع المادي الى الاشباع النفسي و الاجتماعي و قد يكون رمزي ذو ابعاد ثقافية و اجتماعية و هنا نشير الى مفهوم التبادل الرمزي و هو ذلك الشكل من التبادل الذي ياخذ ابعاد و دلالات رمزية في العلاقات الاجتماعية في مجتمع ما حسب الطبيعة الرمزية و معناها الاجتماعي و الثقافي و حتى الديني في المجتمع .

1ـانماط التبادل الرمزي .

تتنوع انماط التبادل الرمزي بين الهدية و الهبة و الصدقة هده الأشكال من التبادل تحمل نفس المضامين في معناها العطاء و المنحة و في الوقت نفسه تختلف من حيث مدلولاتها اللغوية .

***الهدية :هي الشيء الذي يمنحه الشخص لغيره حبا و اكراما و تتضمن معنى المنح و الحمل .**

***الهبة :هي منح من دون حمل و يقصد بها تمليك الغير المال او أشياء مادية أو املاك ذات قيمة مادية.**

***العطية :هي اعطاء مع وقف التنفيد الى حين وفاة الشخص مصدر العطية حيث يتم بموجبها اعطاء الشخص لشخص اخر حرية التصرف في ممتلكاته او جزء منها على سبيل الود او الاعانة او الثقة و المشاركة في الملكية .**

الهدف من هده الاشكال من التبادل هو كسب الود و الاحترام و التقدير(الهبة و الهدية)اما الصدقة او العطية فيرجى منها الثواب في العالم الاخر وتشترك في هده الخاصة (الرجاء في نيل الثواب معظم العقائد).

2-وظيفة التبادل في المجتمعات البدائية (الهبة نموذجا):

اهم ما جدب انتباه واحد من الانثربولوجيين (مارسيل موس) في هدا الموضوع هو تلك الظاهرة الاجتماعية الشائعة و التي ينخرط فيها معظم الناس و هي التبادل و تمليك الاشياء عن طريق الهدية و سؤاله في ذلك :لماذا الرد عن الهدية يكون بالهدية شرطا الزاميا ؟.

و ماهو السر الذي يجعل من علاقة الهدية علاقة تناظرية الزامية ؟.

الاجابة على هذين السؤالين تستدعي فرضية انه لفهم المجتمعات المعقدة يجب فهم المجتمعات البسيطة (البدائية) حيث تبدو العناصر الأولية للظواهر الانسانية واضحة و جلية .

ان الاهداف العلمية التي حاول الانثربولوجيون تحقيقها من خلال دراستهم لاشكال التبادل الرمزي في المجتمعات البدائية هي:

***محاولة الوصول الى استنتاجات ترتبط بمظهر من مظاهر الاصول الطبيعية للمبادلات الانسانية في المجتمعات البدائية هدا يقود الى التعرف على السوق قبل ظهور التجارة و قبل انتشار العملة بقيمتها التداولية .**

***التعرف على الطريقة التي اشتغلت بها الاخلاق و الاقتصاد ضمن هده المبادلات انطلاقا من كون الاخلاق و الاقتصاد مازالا يعملان بشكل مستمر في المجتمع الحديث و لو بشكل ضمني ،ذلك يمثل واحدة من المرتكزات الانسانية التي انبنت عليها المجتمعات الحديثة .**

توصل مارسيل موس من خلال دراسته للهبة كنموذج للتبادل الرمزي في المجتمعات البدائية الى نتيجتين :

***النتيجة الاولى :الهبة واحدة من اهم الاكتشافات المذهلة التي ابتدعها البشر للتواصل فيما بينهم و اقامة علاقات تبادل بين الافراد و الجماعات تعزز من فرص العيش المشترك الآمن و ما الزامية رد الهبة الا دليل على حتمية و الزامية التبادل .**

***النتيجة الثانية :الهبة في المجتمعات القديمة لم تكن مجرد أفعال ثنائية ينخرط أو يشترك فيها بشكل عشوائي طرفان (أفراد -جماعات)، بل هي نظام شامل معقد من المبادلات يجري بموجبه انتقال معظم الممتلكات و الحقوق بين الأطراف المعنية دونما الحاجة إلى**

آلية السوق و العقود الوضعية التي عرفتها البشرية لاحقا بشكل متفاوت و حسب التجربة التاريخية لكل مجتمع .

بالاضافة إلى ما سبق لم تكن الهبة في المجتمعات البدائية تقتصر على الأشياء (المنتجات الفلاحية و الحرفية) أو الاشخاص(الجواري و العبيد) بل تعدت إلى الرموز و المعاني و الارواح و الطقوس و الاغاني و القصائد و الرقصات .

من المنظور السوسيولوجي توصل مارسيل موس الى تصور مميز لكل الظواهر الاجتماعية و منها الهبة مفاده أن هده الظواهر (كلية) أي أنها تختزل جميع مستويات الحياة الاجتماعية بتفاعلاتها اللامادية و الرمزية وأن فهم المجتمع بصورة كلية يعتمد على مقاربة الظواهر مقاربة كلية لا تفصل أو تفكك أو تحلل إلا لتعيد تركيب الكل.

(مارسيل موس :بحث في الهبة ـشكل التبادل و علته في المجتمعات القديمة ـترجمة المولدي الاحمر ـالمنظمة العربية للترجمة 2011).